

## رحلة سمو الامير محمد علي

### الى جنوب افريقية .

هذه رحلة عليية رأينا ان لا نكتفي بوصفها في باب الهيايا والتقار يظ بل ان نترد لها مقالاً خاصاً نجتمع فيه بعض الفوائد التي رأيناها فيها . فان سمو الامير يرتاح الى السفر والى اشراف القراء في الفوائد التي يراها في اسفارهم فيسبها لهم تمام البسط حتى اذا قرأوها كما قرأناها شعروا كأنهم سافروا معه وشاهدوا ما شاهدناه .

ومن مزايها هذه الرحلة انها ليست الى البلدان الاوربية التي اعتاد كثيرون من سكان هذا القطر ان يرحلوا اليها ويروا ما فيها ولا الى بلدان شامع ومنها في الكتب والمجلات بل الى جانب من افريقية متصل بنا ولكن قلما تعرف عنه ولا تذكر ان احداً من معارفنا رحل اليه كمناسا وزيخيار ودار السلام وموزمبيق ومدن جنوب افريقية حتى رأس الرجاء الصالح . ومن مزايها ايضا ان سمو الامير مفرم بالبحث عن النباتات النادرة شديدة الانتباه الى كل ما يراه حريص على وصفه بعد رؤيته واستخلاص العبرة منه فيجد رحلته حافلة بذلك كله .

غادر ميناء بورت سيد في السادس من ابريل الماضي على باخرة من بواخر « يونيون كاسل » وقال انها كانت خاصة بالسياح واكثرهم من موظفي الحكومة الانجليزية في اواسط افريقية ومعهم نساؤهم واولادهم . رأى هؤلاء الاولاد يصرخون ويتضاربون من اجل لعبة او برقالة وذلك امر عادي قلما يلتفت اليه من لا يتبدل بالضعائر على الكبار فقال « اذكرني هذا المنظر بان الغيرة وتنازع بني البشر يظهران في الانسان من عهد الخلدانة كما ان من الصفات النظرية تثبت الملوب الشيء باسترداد ما سلب منه وانه يأتي بكل شعوره وقوته ان يبيت على حتى مهضوم او ان يقب على امره »

ولما بلغت الباخرة بورت سودان والتفت الى البر رأى العلم المصري الى جانب العلم الانكليزي فقال ان ذلك كان داعياً لسروري . ثم التفت الى الزوارق التي تجمعت حول الباخرة فقال انها نظيفة يجارحها من السرد وقفوا بزوارقهم على مسافة قصيرة من الباخرة بشكل منتظم من غير صياح او تراحم لنقل الركاب على غير ما في المواني الاخرى . وبعد ان وصف كيفية نقل البضائع من الباخرة الى البر فمركبات سكة الحديد التفت الى

امر جوهري وهو انه رأى هناك كثيراً من المراكب الشراعية مشحوناً بالقطن الوارد من  
 حكومتهم أخبر ان في بورت سودان عملاً واسع الأقمشة القطنية تابعاً لحكومة السودان  
 وقد أرسل في العام الماضي ألف طن من بيرة القطن الى مدينة هل بانككترا لاستخراج  
 الزيت ومن ذلك يعلم مقدار العمل وأهميته. ثم وصف الميناء بأنها « ميناء حرة لانواعها  
 وعمقها ولكثرة ما هناك من غم كرديف اخاص بالنين الحربية ». وهذا وامثاله مما يستحق  
 الالتفات من حيث علاقة السودان بمصر. واقلمت الباخرة من بورت سودان قال وكان فيها  
 من انكليزي يدرس الركاب اللغة السواحلية المنتشرة في شرق افريقية فكان كثير من  
 الرجال والنساء شبيهاً وشباناً يحضرون هذه الدروس فيستفيدون في مدة شهر السنما يلزم لم  
 من هذه اللغة ليتيسر لهم التتاهم بها على قدر الضرورة لانهم عمليون يعملون لمنفعتهم واني  
 آسف لعدم اهتمام الشرقيين بتعلم ذلك

ووصلت الباخرة الى عدن في الثالث عشر من ابريل فوصفها بأنها قائمة على  
 صخور سوداء ووراءها ثلاث قمم بركانية قديمة وقد اقيمت الحكومة الانكليزية نفقات  
 كبيرة حتى اقامت في بقعة جبلية صخرية مرفأً مهتماً كعدت في كل ما يلزم للمرافئ  
 العصرية. وبعد ان وصف ما فيها قال ان الباخرة تأخرت عن ميعاد قيامها لانه عرض  
 عليها شحنة كبيرة من الملح الى مبابسا وهذا الملح موجود في ضواحي عدن بكثرة ولا وجود  
 له في جنوب افريقية وشرقها ولذلك يصدر بتأدير كبيرة من عدن الى تلك الجهات  
 والتاجر الكبير المشتغل بذلك هو الملا حاج عبد الله

وبلغت الباخرة جزيرة مبابسا في الثامن عشر من ابريل وهي ميناء كينيا واوغندا .  
 قال « نزلنا من الباخرة ومررنا في وسط الجمرك واخذنا سيارة فورد لرؤية البلدة وما فيها  
 فوجدنا الطريق فسيحة مرصوفة بالمكدام وعلى جانبيها اشجار مختلفة ونما دشتنا للمصفاة اشجار  
 النخيل وشجر البوايب وكل المنازل تحيط بها بساتين . وبعد الظهر ركبنا زورقنا الى الساحل  
 واخذنا سيارة لتأهدة ما يستحق الزوية وكان اليوم بيتنا فوجدنا الحوانيت الانجليزية مخفية  
 كما هي العادة في انككترا فطلبتنا من السائق ان يطوف بنا في الاحياء الاهلية فمررنا اولاً  
 في شارع نظيف منتظم يتكئة تجار المنود وخصوصاً الاغنياء منهم واكثرهم يحترقون  
 الصياغة ويبيعون الحزاز والاقمشة وقد لاحظنا ان كثيراً من المنازل القديمة لها ابواب من  
 الخشب فيها سامير كبيرة من الحديد والنحاس. وقد قديماً كانت صناعة هذه الابواب معروفة  
 في بلاد العرب وانتقلت الى الهند والسندية وغيرها من البلاد التي دخلها العرب... »

ثم خرجنا الى خارج البلدة بطريق لمسج في اشجار كبيرة وارفة انظل حتى تصرعطينا تصوير المناظر بانفوتوغراف وبعد ان سرتنا مسافة طويلة وصلنا الى فندق على شاطئ البحر حيث ابتداء الطريق المرصوف باللكدام. وقد يحيل الى الانسان انه يسير في وسط حدائق اوربا الكبيرة الجميلة. ومررتنا بمنزل رجل سواحلي غني مكتوب على بابو آيات قرآنية « ودعاه القبطان لؤوية ما حول الميناء وحول جزيرة مباسا بوتربوت قال «فررتنا اولاً

بجانب الرصيف الذي يعدونه لمرسى البواخر وقد فتحت الحكومة له اعتماداً يبلغ مليون ونصف من الجنيهات ومررتنا بجهاز كبير من الحديد يشبه الكباري لنقل الصودا من عملها الى المراكب ثم مررتنا تحت كبري الكفة الحديدية الذي يصل بين الجزيرة وارض القارة الافريقية نشاهدنا مناظر جميلة فوق التلال والاراضي تكسوها الغابات الخضراء وكثيراً من بيوت الاوربيين تحوطها اشجار جوز الهند». ولما وصل الى النادي الانكليزي قال « ما كان اعظم سروري برؤية الحديدية الصغيرة التابعة لهذا النادي لان فيها عشرة اصناف من شجر الكروتون الجميل في لونه الغريب في حجمه اذ كان منه ما يقارب حجم شجر النارج الكبير ولا عجب من اعجابي بذلك فاني من انولعين بالنباتات وكنت اظن ان ما رأيته بالاسكندرية من اشجار هذا النوع هو اجد ما يكون ولكن لانه بين الذي رأيته في مباسا والذي رأيته في الاسكندرية «

ومررت السفينة بمدينة طنجة ميناء ولاية طنجاينكا التي كانت لالمانيا واحدها انكثرا منها سنة ١٩١٢ فوضفها احسن وصف. ثم غادرتها الى جزيرة زنجبار. فقال ان منظر غروب الشمس هناك مما يسحر الانظار وكان الجزيرة بتان واحد اقامته الطبيعة فيرى الناظر الاشعة الذهبية تلو اللون الاخضر الجميل. ثم اسهب في وصف زنجبار وما لقيه من سلطانها من الحفاوة والاکرام. ومما فانه ان الطرق خارج المدينة واسعة مرصوفة باللكدام تضاهي احسن طرق اوربا على جوانبها الرياض والبساتين وكانها كلها حديقة غناء وذكر من اشجارها شجر القرتل. ورأى هناك الجامع الكبير الذي بناه الطبيب الذكر آغاخان الهندي جد آغاخان الحالي. واقام معه مكتبة للهنود ونادياً يجتمعون فيه

وغادرت الباخرة زنجبار في الرابع والعشرين من ابريل الى دار السلام التي كانت عاصمة المستعمرة الالمانية في شرقي افريقية وهي الآن تابعة لانكثرا فقال ان بمصر هذه المدينة السيد نجيب سلطان زنجبار مضرها سنة ١٨٦٢ وتركها سنة ١٨٨٢ فجاءها رجل الماني اسمه كارلس وبسد مجيء بنئين ارسلت الحكومة الالمانية قوة عسكرية

لأحلتها وأعلنت امتلاكها». ثم غادرتها الباخرة الى موزمبيق عاصمة مستعمرة البرتغال فقال ان « فيها قلعة قديمة بناها البرتغاليون بين سنة ١٥٠٨ و ١٥١١ وجلبوا حجارتهما من بلاد البرتغال مسافة ٨٠٠٠ ميل وفي ذلك مخفرة عظيمة تظهر مقدرة امة البرتغال في ذلك العصر عصر قوتها ومجدها». وفي ٣٠ ابريل بلغت الباخرة لورنسو ماركيس فغادرها هناك بعد سفرة دامت ٢٤ يوماً. وهذه المدينة برتغالية لكنها تعد ميناء مهم للترنفال فاستقبل هناك بالترحاب والاحترام الذي يليق بكامير مصري جليل القدر ولوكات مسافراً باسم مستعار وركب منها قطار سكة الحديد الى الترنفال والظاهر انها كانت غرضه الام من هذه الرحلة فقال في وصفها « وبدخولنا اراضي الترنفال وجدنا فرقاً من جهة دقة النظام وجودة الاراضي وثروتها الطبيعية وكان القطار يسير الى جانب نهر على شاطئه اشجار كبيرة. ولم نجد في مستعمرات البرتغال مزارع كبيرة كمزارع الترنفال فقد مررنا بكثير من المزارع الشاسعة المنتظمة وفيها كثير من شجر الليمون والباياز وهناك مزارع القطن ولم نستطع الثوم ليلاً بسبب هزات القطار الصيفة عند وقوفه وقيامه وكان البرد شديداً ولما وصلنا بريتوريا علمنا من جرائد جوهانسبرج ان البرد بلغ تلك الليلة اشد ما بلغ منذ اربع سنوات »

واسهب في وصف بريتوريا فقال انها العاصمة الادارية لحكومات جنوب افريقية وسكانها ٤٥١٦٣ من البيض و ٢٨٦٠٠ من الزنوج. ودار الحكومة فيها بلغ ما اتفق على بنائها نحو مليونين من الجنيهات وهذا ليس بكثير بالنسبة الى ضخامة البناء وثروة البلاد وكنت اود ان ارى مثل هذه الابنية العظيمة في القاهرة عاصمة مصر

وذكر ما لقيه فيها من اكرام حاكم جنوب افريقية العام اللورد اتان شقيق ملكة الانكلترا وزوجته اخت ملك الانكلترا وقد لقب بلف اللورد اتان لما ترك الامراء القادمين القديمة بعد الحرب. وما لقيه ايضاً من الجنرال سمطس والميجر انكندر الذي كان ياوراً للسرة يجنلد ونجت باشا

ومما ذكره واستوقف نظرنا بنوع خاص ان نبات المراعي هناك تنقص مادة الفسفور الضرورية لتغذية الحيوان فلذا تبحث البقر عن عظام الحيوانات لتأكلها لما فيها من الفسفور والمراشي التي تصف من قلة الفسفور تعطى مسحوقاً منه بكميات محدودة قراها تنتظره بتلهف شديد في الساعة المعينة لتناولها

ثم غادر بريتوريا ماراً بجوهانسبرج وقصد شلالات فكتوريا اعظم شلالات في

المسكونة وهناك فندق قال انه بديع الشكل متكبل لاسباب الزراعة والنظافة وان  
الانسان ليحب ان يرى بلاداً كانت في الماضي القريب مرتعاً للوحوش ووطناً للزئوج لا  
امان فيها ولا فرق بين وحشها وانسها بلاداً كانت هذه حالتها تحول الى حالتها اليوم  
فيمكنها المتدنون. ويرثها السائحون وفيها ما يكفل لمرء الطأ نبتة والزراعة وهذا الفندق  
العظيم الحديث النظام ووجدنا ان كل الخدم فيه من الزئوج الآ القليل من الافرنج ووجدنا

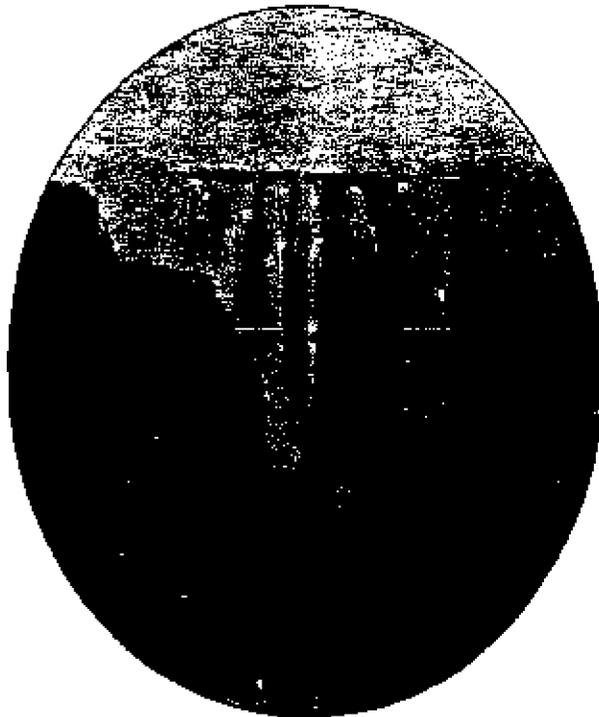
فيه خادماً من زنجار يتكلم  
العربية وكم يسر الانسان ان  
يرى من يتكلم بلغته في بلاد  
غريبة نائية

ثم وصف ذهابة الى الكبري  
(الجسر) الذي اقيم فوق  
الشلالات وقال انه هو معاني  
يلغ ارتفاعه في منتصفه عن  
سطح الماء خمماية قدمه فهو  
اعلى كبري في المسكونة وبلغ  
طوله ٦٥٠ قدماً وقد تم عمله  
سنة ١٩٠٤. ثم وصف هذه  
الشلالات فقال :

يلغ عرض نهر الزنبيدي  
قبين الشلالات ميلاً وربعاً  
لكثرة ما فيه من الجزائر ثم

شلال فكتوريا بلما نسم الكبري عليه

ينقسم الى اربعة اقسام فالقسم الجنوبي يسمى شلال العفريت وبلغ عرضه ٩٠ قدماً وتسط  
منه المياه الى عمق ٢٥٠ قدماً ثم الشلال الكبير الذي بين جزيرة لتنجستون وجزيرة الشلال  
وهذا تقسمه صخرة كبيرة الى قسمين الايمن عرضه ٥٧٣ يرداً والآخر عرضه ٣٢٥  
يرداً. ثم شلال قوس قزح وعرضه ٦٠٠ يرد وبمده الشلال الشرقي المذكور آنفاً وكان  
لجلال منظر وفي النفس ما يورثها اعترافاً بقدره الخائق وعظمه وبهر المعين بمجال الطبيعة.



وبعد الظهر اشير علينا بالذهاب لرؤية الغابة المحطرة او غابة الامطار فارتدينا امكنشوش ( اي بالطرالمطر ) على ثياب خفيفة وديعات خصيصة للمطر وقتنا في الساعة الرابعة بعد تناول الشاي فوصلنا الى نقطة في اول الكبري ومن هناك راينا عظمة المنظر المريب المائل وكان المطر يهطل علينا بغزارة وهو ليس مطراً عادياً وانما هو المياه المتصاعدة من قاع الشلال بشكل البخار بعد سقوط المياه واصطدامها بالخرابة وما ينشأ عن ذلك من ضغط الهواء الذي يقذف برشاش الماء الى ارتفاع يبلغ من خمسين متراً الى مائة متر فيكون منه صحابة ممطرة باستمرار . ثم دخلنا غابة كثيفة من مختلف الاشجار فوجدنا فيها طرقاً متجهة نحو الشلال فسرنا في احداها فوراينا قوس قزح كامل الدائر كحلقة تمر الى جانب قديم والى جانبه قوس قزح آخر . . وقيل لي ان هذا القوس يرى ايضاً في الليالي القمرية . ثم مررنا في سيرنا وسط الغابة بالاشجار من الفيكس والتخيل وغيرها الى ان وصلنا الى نقطة راينا فيها الشلالات الاربعة فاذا المنظر مدهش يأخذ بالعمول والابصار وينطق بعظمة الخالق - ومضى من هناك الى بولاوايو ومرّ بمدن سسل رودس ولتي زعماء الجعية الاسلامية في مدينة بولاوايو ومنها الى جوهانسبرج . وقال انها مدينة حديثة انشئت سنة ١٨٨٦ وبلغ عدد سكانها الآن ١٥٤ الفاً من البيض و١٢٨ الفاً من الزنوج والشرقيين . وسبب هذا العمران السريع اكتشاف الذهب في ارضها سنة ١٨٨٦ ويقال انه بعد تسع سنوات من قصورها بيعت قطعة ارض للبناء في شارع من شوارعها بأثنين وعشرين الف جنيه وبعد سنتين بلغ ثمنها اربعين الف جنيه . سنة ١٩١٥ اشترى احد البنوك قطعة ارض مربعة طولها خمسون قدماً في مثلها عرضاً يبلغ خمسة وعشرين الف جنيه وقال ان جوهانسبرج اكبر مدينة افريقية بعد القاهرة من حيث مساحتها وعدد سكانها وقد بلغت هذا المبلغ من الاتساع والاهمية في خمس وثلاثين سنة وكانت قبل صحراء قاحلة فاصبحت مدينة جميلة ذات بساتين واشجار تحوطها غابات منشأة بيد الانسان وهي مركز متصل به اكبر مدن اواسط افريقية وجنوبها . وفيها ابنية ضخمة حديثة الطراز منها دار المحافظة وقد انفق على انشائها ٤٥ الف جنيه ودار المحكمة العليا انفق على انشائها ١٣٥ الف جنيه ودار اليورصة ومدرسة المعارف ودار الكتب ومستشفى كبير انفق على انشائها ٢٠ الف جنيه ومصلح كبير انفق على انشائه ٥٠٠ الف جنيه وفيها ايضاً ميادين لسباق الخيل والالعاب الرياضية وكل ما يلزم لمدينة عظيمة حديثة ثم وصف ما شاهده في مناجم الذهب وسأق على تصنيف ذلك في الجزء الثاني